رنين: ريادة في تعزيز الشمولية في التوعية بالصحة الجنسية والإنجابية

في عالم تواجه فيه ملايين النساء حواجز تحول دون فهم حقوقهن في الصحة الجنسية والإنجابية والوصول إليها، بزغت "رنين" كنموذج للأمل والتحوّل. بدأت رحلتها من إدراك عميق: فالكثيرون في الأردن، لا سيما النساء ذوات الإعاقة، محرومون من المعلومات الدقيقة والمتاحة حول أجسادهن وصحتهن، حيث تبرز حاجة ملحّة لتوفير محتوى باللغة العربية حول حقوق الصحة الجنسية والإنجابية يستجيب للاحتياجات الخاصة للفئات المهمشة، لا سيما الأشخاص ذوي الإعاقة. وبالنسبة للمجتمع الأصم في الأردن، فإن الوصول إلى المعلومات الصحية لا يزال صعبًا بسبب غياب المصطلحات الطبية في لغة الإشارة الأردنية ونُدرة الموارد المصممة خصيصًا لهم.

وقد شدّد المشاركون في جلسات الاستماع باستمرار على كيف أن مبادرات "رنين" قد ساهمت في سد هذه الفجوة من خلال تقديم معلومات متاحة وذات صلة. تقول ليلى، 40 عامًا: "للمرة الأولى، أفهم جسدي وأشعر بالثقة في طرح الأسئلة المتعلقة بصحتي الجنسية والإنجابية". وتروي دينا، 30 عامًا: "كنت خجولة جدًا عندما تزوجت، وكنت في قلق دائم. هذه أول مرة أفهم فعلًا ما يحدث لي". أما حنان، 37 عامًا، فتسرد تجربة مؤلمة: "عندما كنت في الشهر السابع من الحمل، توفي والدي. عندما سمعت الخبر، انهرت تمامًا وبدأت أقلق من أن هناك خطبًا ما بالجنين، لم أعد أشعر بحركته. طلبوا مني ألّا أخبر الطبيب بما حدث. عند زيارة الطبيب، كانت والدتي هي من تتحدث. شعر الطبيب أن هناك أمرًا مقلقًا، لكننا لم نتمكن من التواصل معه. لم يشرح لي أحد ما يجري حتى أنجبت. عشت شهرين في خوف وعدم يقين."

هذه القصص قُدمت خلال جلسة توعية بالصحة الجنسية والإنجابية شملت ترجمة بلغة الإشارة، وهي تسلط الضوء على الحواجز الكبيرة التي تواجهها النساء ذوات الإعاقة في الوصول إلى معلومات موثوقة وكيف يمكن لخطوات صغيرة نحو الشمولية أن تُحدث تغييرًا عميقًا، حيث تواجه النساء ذوات الإعاقة في الأردن تحديات كبيرة في الوصول إلى معلومات دقيقة حول صحتهن الجنسية والإنجابية. كما تجد الأسر صعوبة في إيجاد توجيه موثوق حول كيفية تثقيف أبنائهن وبناتهن في هذا المجال، وغالبًا ما يجدن أنفسهن في دوامة من المفاهيم الخاطئة والصور النمطية الضارة. من بين المعتقدات الخاطئة المنتشرة، مثلًا، أن "النساء ذوات الإعاقة لا يستطعن الحمل"، وهو ما يؤدي إلى تعزيز الخوف والمعلومات المغلوطة.

روت بعض النساء قصصًا عن أطباء أجروا فحوصات معقدة لمعرفة سبب انقطاع الدورة الشهرية، دون التفكير بإجراء فحص حمل بسيط. وهناك أيضًا ظاهرة مقلقة تتمثل في الضغط على النساء ذوات الإعاقة للخضوع لولادة قيصرية بدلًا من الولادة الطبيعية، حتى في غياب أي مبرر طبي. ويزيد من تفاقم هذه التحديات غياب مترجمي لغة الإشارة في المؤسسات الصحية، وندرة الموارد التعليمية المتاحة، وغياب مفهوم الموافقة المستنيرة.

"رنين"، التي يحمل اسمها معنى "الصوت الرنان"، هي مؤسسة تنتج كتبًا صوتية باللغة العربية بأسلوب درامي مشوق مصحوب بالمؤثرات الصوتية والموسيقى، بهدف جذب الأطفال واليافعين. عندما انضمت "رنين" إلى برنامج "نحن نقود"، أجرت مجموعات تركيز لفهم الاحتياجات والفجوات قبل بدء تدخلاتها.

وفي إحدى هذه الجلسات مع نساء من ذوات الإعاقة السمعية، تبين وجود فجوة كبيرة في الوصول إلى معلومات الصحة الجنسية والإنجابية. وقد شكّل هذا الاكتشاف فرصة لـ"رنين" لتكون أكثر شمولًا من خلال دمج ترجمة بلغة الإشارة ضمن محتواها، لضمان أن مواردها تخدم الأشخاص ذوي الإعاقة على اختلاف تنوعهم.

هذا وأطلقت "رنين" ضمن إطار مشروع "نحن نقود" بودكاست "صحّيات"، الذي ضم حلقات تناولت مواضيع مثل الصحة أثناء الحيض، وانقطاع الطمث، والحمل. وقد صُممت هذه الحلقات بعناية لتشمل لغة الإشارة ومحتوى واضحًا وسهل الفهم للنساء ذوات الإعاقة.

نُظّمت جلسات استماع في مختلف أنحاء البلاد، جمعت النساء وأسرهن للحديث علنًا ولأول مرة عن هذه المواضيع. وقد عبّرت النساء الصم عن امتنانهن لفهم التغيرات التي تطرأ على أجسادهن، مما أشعرهن بأنهن أقل تهميشًا، وأكثر ثقة، وأقدر

على طرح الأسئلة التي طالما خفن من التعبير عنها. كما بدأت الأسر بفتح النقاشات، وكسر سنوات من الصمت حول مواضيع حساسة.

ركّز المحتوى على تلبية احتياجات المجتمعات المهمشة، لا سيما مجتمع الصم، من خلال شراكات مع مؤسسات مثل نادي الأمير علي للصم. وساهم هذا النهج في سد فجوات حرجة في الوعي والوصول إلى معلومات الصحة الجنسية والإنجابية، وضمان إيصال معلومات هادفة ومناسبة وقابلة للتنفيذ للفئات المهمشة.

خلال موسمين من 2023 إلى 2024، طوّرت "رنين" 14 حلقة بودكاست تجاوز عدد مشاهداتها 500,000 مشاهدة. كما نظمت ثماني جلسات استماع تفاعلية دعمت 270 مشاركة من الفتيات والنساء، بما فيهن من ذوات الإعاقة السمعية والحركية والبصرية، إضافة إلى أولياء أمورهن.

بدأت النساء المشاركات في هذه الجلسات بنقل المعرفة التي اكتسبنها إلى مجتمعاتهن، مما خلق دوائر تأثير امتدت إلى ما هو أبعد من نطاق المشروع الأصلي. وقد جاءت التعليقات قوية ومعبرة: "كان هذا مفيدًا جدًا. لم أكن أعلم من قبل أن هناك استشارات طبية تسبق الزواج." "هذه أول مرة أعرف أن اضطرابات الدورة الشهرية قد تشير إلى مشكلات في الحمل." "الكثير منا في مجتمع الصم لا يحصلون على حقهم في الرعاية الصحية. عادةً، يخبرنا أهلنا بالأدوية التي يجب أن نتناولها، دون أن يشرح لنا أحد. هذه المرة الأولى التي أجد فيها إجابات عن أسئلتي حول الصحة الجنسية والإنجابية."

وخلال الجلسات، منحت جميع المشاركات الحلقات "إشارة إعجاب"، ما عكس رضا جماعيًا. وعند سؤالهن إن كنّ سيقمن بمشاركة الحلقات، أجاب الجميع بنعم، مشيرات إلى ندرة المحتوى بلغة الإشارة الأردنية على الإنترنت. ويبرز هذا الحماس قيمة المحتوى وأهمية توفر موارد متاحة داخل مجتمع الصم.

هذا ويُظهر عمل "رنين" أن إعطاء الأولوية للشمولية يمكن أن يُحدث تغييرًا جذريًا في حياة الناس. فالأمر لا يقتصر على نقل المعلومات، بل يتمثل في تمكين النساء للدفاع عن أنفسهن وعن صحتهن.

ورغم ما تحقق من تقدم، إلا أن الطريق لا يزال طويلًا. لا بد للمستشفيات من توفير مترجمي لغة الإشارة، ويجب تدريب العاملين في القطاع الصحي على التواصل الفعّال مع جميع المرضى، كما ينبغي إصلاح السياسات لضمان تقديم خدمات شاملة للنساء ذوات الإعاقة.

وتتعاون "رنين" حاليًا مع مجموعة من النساء الصم الملتزمات بالدفاع عن حقهن في الحصول على معلومات وخدمات متاحة. وضمن هذا السياق، تخطط "رنين" لتأسيس برنامج مستدام حول الصحة الجنسية والإنجابية في نادي الأمير علي للصم، من خلال اجتماع تشاوري تقوده صاحبات الحقوق ويضم أصحاب القرار. سيُسهم هذا اللقاء في رفع صوت النساء الصم، والتأثير في تصميم وتنفيذ برامج وخدمات شاملة ومُراعية.

إن التغيير الذي أطلقته "رنين" يُجسد ما يمكن تحقيقه حين تُمنح الشمولية الأولوية. والآن، حان الوقت للبناء على هذا الأساس، والتأكد من ألا تُترك أي امرأة خلف الركب، مهما كانت ظروفها.